

في هذا المستوى المتدنى من علوم العربية: قراءة وكتابه، ثم هو كلام يفضي بنا إلى قضية ذات خطر، وأatak بكل عجيبة وغريبة، فإذا أخذ في كلام، أو أدار قلمه على بيان خلط واعتسف وأخطأ، لأنهما ملاك الأمر كله – وهذا التفسير والحديث، لكنك قل أن تجد منهم من اعتنى بهذا العلم الجليل «رواية» من حيث حفظ المتن وإنقان الغريب. وهو الذي أورثهم العجز الذي يأخذ بالسنتم وأقلامهم، يبغض إلى طالب العربية «الحفظ» ويزهد فيه، ونقرأ لمسؤول كبير عن التعليم في مصر قوله: «ولا بد أن يدرك الطالب أن زمن الحفظ والصمامين قد انتهى». وذلك لأن ترا ثنا كله قائم على الرواية والدراءة، ولذلك قالوا: «الرواية من العشرين والدراءة من الأربعين». والجوهرى صاحب «الصحاب» يقول في مقدمته: «قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة = بعد تحصيلها بالعراق رواية وإنقانها دراءة». فروي عن الأصممعي أنه قال: «كل علم لا يدخل معى الحمام فليس بعلم». ويريد أنه حافظه ومستحضره في كل وقت وعلى كل حال. وقال محمد بن يسir - من شعراء الدولة العباسية الأولى: فجمعت لكتب لا ينفع حفظ اللغات علينا فرض الصلاة فليس يُضطـبـيـنـ وحسبـكـ بـقـرـاءـ الـقـرـآنـ وـعـلـمـاءـ الـقـرـاءـاتـ،ـ وقدـ قـيـلـ:ـ الـحـفـظـ إـلـيـنـقـانـ -ـ وـذـلـكـ ما روـاهـ أـيـوـبـ بنـ المـتـوكـلـ قالـ:ـ سـمـعـتـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ مـهـدـيـ يـقـولـ:ـ كـانـ الرـجـلـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ إـذـ لـقـيـ مـنـ هـوـ فـوـقـهـ فـيـ الـعـلـمـ فـهـوـ يـوـمـ غـنـيـمـتـهـ،ـ سـأـلـهـ وـتـعـلـمـ مـنـهـ،ـ وـلـاـ يـكـونـ إـمـاـمـاـ فـيـ الـعـلـمـ مـنـ روـىـ كـلـ مـاـ سـمـعـ،ـ حـفـظـ كـلـامـ الـعـرـبـ:ـ وـيـقـولـ اـبـنـ خـلـدونـ:ـ «ـوـوـجـهـ الـتـعـلـيمـ لـمـنـ يـبـتـغـ هـذـهـ الـمـلـكـةـ وـيـرـوـمـ تـحـصـيـلـهـاـ أـنـ يـأـخـذـ نـفـسـهـ بـحـفـظـ كـلـامـهـ الـقـدـيمـ الـجـارـيـ عـلـىـ أـسـالـيـبـهـ،ـ مـنـ الـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ وـكـلـامـ السـلـفـ وـمـخـاطـبـاتـ فـحـولـ الـعـرـبـ فـيـ أـسـجـاعـهـ وـأـشـعـارـهـ،ـ حـتـىـ يـتـنـزـلـ لـكـثـرـةـ حـفـظـهـ لـكـلـامـهـ مـنـ الـمـنـظـومـ وـالـمـنـثـورـ مـنـ نـشـأـ بـيـنـهـ وـلـقـنـ الـعـبـارـةـ عـنـ الـمـقـاصـدـ مـنـهـمـ».ـ وـيـقـولـ أـيـضاـ:ـ «ـوـتـعـلـمـ مـاـ قـرـنـاهـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ أـنـ حـصـولـ مـلـكـةـ الـلـسـانـ الـعـرـبـ إـنـماـ هـوـ بـكـثـرـةـ الـحـفـظـ مـنـ كـلـامـ الـعـرـبـ،ـ حـتـىـ يـرـتـسـمـ فـيـ خـيـالـهـ الـمـنـوـالـ الـذـيـ نـسـجـواـ عـلـيـهـ تـرـاكـيـبـهـ فـيـنـسـجـ هـوـ عـلـيـهـ،ـ وـخـالـطـ عـبـارـتـهـمـ فـيـ كـلـامـهـ حـتـىـ حـصـلـتـ لـهـ الـمـلـكـةـ الـمـسـتـقـرـةـ فـيـ الـعـبـارـةـ عـنـ الـمـقـاصـدـ عـلـىـ نـحـوـ كـلـامـهـمـ».ـ وـإـنـماـ هـيـ مـلـكـةـ لـسـانـيـةـ فـيـ نـظـمـ الـكـلـامـ تـمـكـنـتـ وـرـسـخـتـ فـظـهـرـتـ فـيـ بـادـئـ الرـأـيـ أـنـهـ جـبـلـةـ وـطـبـعـ.ـ وـهـذـهـ الـمـلـكـةـ كـمـاـ تـقـدـمـ إـنـماـ تـحـصـلـ بـمـارـسـةـ كـلـامـ الـعـرـبـ وـتـكـرـرـهـ عـلـىـ السـمـعـ،ـ الـقـيـ اـسـتـبـطـهـاـ أـهـلـ صـنـاعـةـ الـلـسـانـ،ـ وـهـذـاـ الـكـلـامـ الـأـخـيـرـ هـوـ الـذـيـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ كـلـامـ الـدـكـتـورـ الـرـبـيعـيـ،ـ فـإـنـ «ـعـرـفـةـ الـقـوـانـيـنـ الـعـلـمـيـةـ الـتـيـ اـسـتـبـطـهـاـ أـهـلـ صـنـاعـةـ الـلـسـانـ»ـ هـيـ «ـالـنـظـرـيـاتـ وـالـمـنـاهـجـ»ـ فـيـ أـيـامـنـاـ هـذـهـ.ـ يـقـولـ أـبـوـ الـفـتـحـ عـثـمـانـ بنـ جـنـيـ:ـ «ـقـالـ لـنـاـ أـبـوـ عـلـيـ الـفـارـسـيـ -ـ يـوـمـاـ قـالـ لـنـاـ أـبـوـ بـكـرـ -ـ اـبـنـ السـرـاجـ -ـ إـذـاـ لـمـ تـفـهـمـواـ كـلـامـيـ فـاحـفـظـوهـ،ـ وـآيـةـ ذـلـكـ أـنـ صـفـارـ الـتـلـامـيـذـ فـيـ دـورـ الـحـضـانـةـ وـالـرـوـضـةـ يـرـدـدـونـ مـعـ إـطـلـالـةـ كـلـ صـبـاحـ النـشـيـدـ الـوـطـنـيـ لـبـلـادـهـمـ،ـ وـهـمـ بـالـقـطـعـ لـاـ يـعـرـفـونـ شـيـئـاـ عـنـ مـعـانـيـ مـفـرـدـاتـهـ فـضـلـاـ عـنـ تـرـاكـيـبـهـ،ـ وـكـلـ ذـلـكـ لـضـبـطـ الـقـاعـدةـ وـتـثـبـيـتـ الـأـحـكـامـ.ـ وـمـعـ الـمـنـظـومـاتـ الـمـطـوـلـةـ فـيـ الـنـحـوـ وـالـصـرـفـ كـاـنـ هـنـاكـ الـبـيـتـانـ وـالـثـلـاثـةـ وـالـأـرـبـعـةـ لـضـبـطـ الـقـاعـدةـ وـتـرـسيـخـهـاـ.ـ بـأـفـعـالـ ثـمـ أـفـعـالـ وـأـفـعـلـةـ فـيـ السـفـنـ الشـهـبـ الـبـغـاـ صـورـ صـحـبـيـ سـيـبـتـدـئـونـ زـجـرـيـ طـلـبـاـ وـ«ـسـكـتـ فـحـثـهـ شـخـصـ»ـ لـضـبـطـ الـحـرـوفـ الـمـهـمـوـسـةـ.ـ أـنـهـ قـالـ:ـ «ـيـاـ رـسـوـلـ اللـهـ،ـ وـهـنـاـ انـفـرـجـتـ أـسـارـيـرـ اـبـنـيـ،ـ وـلـكـنـهـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ مـؤـسـسـاـ عـلـىـ نـصـوصـ مـحـفـوظـةـ لـلـتـلـامـيـذـ بـهـاـ أـنـسـ وـمـعـرـفـةـ سـابـقـةـ.ـ وـأـكـتـفـيـ هـنـاـ بـعـضـ الـأـمـثـلـةـ:ـ أـمـثـلـةـ مـنـ الـقـرـآنـ:ـ وـإـنـماـ هـوـ بـمـعـنـىـ عـظـمـ،ـ وـفـيـ لـغـةـ مـنـ بـابـ تـعـبـ،ـ [ـفـيـضـمـونـ يـاءـ الـمـضـارـعـةـ،ـ وـأـفـصـحـ وـأـكـثـرـ فـتـحـهـاـ،ـ وـلـمـ تـأـتـ فـيـ كـلـامـ فـصـيـحـ،ـ ﴿ـوـلـاـ تـنـقـصـوـاـ الـمـكـيـالـ وـالـمـيـزـانـ﴾ـ]ـ [ـهـوـدـ:ـ 84ـ]